

بعد وفاته — اطال الله بقاءه — انه كان محباً للآداب والعلم وخادماً لها
ولكننا ما رأينا ان كرنيجي ابنتى مثأت والوفاً من المنازل الصغيرة لكي
يؤجرها لفقراء البشر بنصف اجرة مثلاً . ولا اقام الفنادق العديدة التي تؤجر
غرفها بقيم زهيدة للعمال المساكين الذين متى وقفت حركة العمل اضطروا ان
يناموا متجولين في الشوارع او يتجولوا نائمين . ولا انشأ مطاعم عديدة في
الاحياء المختلفة لكي يأكل فيها الفقراء المحتاجين بنصف او ربع ثمن عند
مسيس الحاجة

المدارس والمكاتب الخيرية نافعة جداً ولازمة للبلاد . وهي من أهم اسباب
رقياها — ليس من ينكر ذلك قط ولا يشبط العزيمة في الجنوح اليه . ولكننا ما
رأينا فقيراً يدخل الى مكتبة او الى مدرسة لانه قبل ان يغذي عقله يحتاج الى
ان يغذي جسده . وقبل ان يحتاج الى مكتبة يصرف وقت الفراغ فيها يحتاج
الى غرفة ينام فيها

تجددون فالشكر لكم . ولكن لا تكونوا مراثين في جودكم ولا تتبجحوا فيه
تقولا الحداد

صوت صارخ في ربوع الشرق

أسكنه المنون

تذكراً لقاسم بك أمين

« الخطبة الاخيرة التي القاها قبل ثلاثة »

« ايام من وفاته »

في ثلاث سنوات فقدت مصر ثلاثة من افاضل رجالها الذين يضمن الزمان
منهم . المرحوم الشيخ محمد عبده والرحوم مصطفى باشا كامل والرحوم قاسم

بك امين الذي نعتة الجامعة (الجريدة) في احد اعدادها في الشهر الماضي نعيًا يليق بمثله

أتى على قاسم بك امين يوم كان فيه أشهر رجل في مصر وهو يوم نشر كتابه (تحرير المرأة) وكتابه (المرأة الجديدة) وقد رمى فيها الى أمر خطير في الشرق تراجمت عنه هم المصلحين المسلمين ولم يجترئ أحد منهم على الجهر به قبل الفقيده وهو رفع حجاب المرأة المسلمة والعناية بهذيبها وجواز اشتراكها في عمل الرجال وبعبارة اخرى رفعها من درجة (كائن قاصر يحتاج الى وصي) الى درجة (كائن مستقل بنفسه يتولى زمام نفسه) في دائرة الشرائع الموجودة الاجتماعية والعائلية . فقامت يومئذ في مصر ضجة لم يقم مثلها قط . وما ذلك لان هذه المبادئ جديدة قد اكتشفها الفقيد اكتشافاً فثاروا عليها فانها كانت موجودة قبله كما يعلم قراء اللغة العربية واللغات الاجنبية . وكثيرون من كتبة المسيحيين الشرقيين قالوا بها وباكثر منها . ولكن الذي أثار تلك الجلبة الهائلة قيام مسلم فاضل من أعقل عقلاء المصريين ممن تحترم آرائهم الخاصة والعامة وهو من اكبر قضاة مصر وصبه كل قوى نفسه وبلاغته في كتاب رمياً الى (رفع الحجاب) فلم تكن تر جريدة حتى الجرائد التي كانت على مذهب المؤلف سراً الا وهي مشحونة بالردود على قاسم بك امين والتهكم على آرائه حتى سبه والتعريض به في بعضها . ولم يكتف أصحاب الذوق البارد بذلك بل ان بعضهم زاروه في بيته واذا فتحت لهم قاعة الاستقبال طلبوا ان تجالسهم قرينته الكريمة كما تجالس سيدات المسيحيين الضيوف . عملاً بكتاب قاسم بك امين " كما قالوا ولقد قرأنا كتابي قاسم بك امين فكان اعجابنا شديداً بالجرأة التي ظهرت منه في هذا الامر وفي أمر آخر . فانه لما رأى ان ماضي التاريخ الاسلامي يحول دون اقتباس شيء كثير من ضروريات الحياة الجديدة . وذلك عند الجامدين

لا عند الاذكياء“ صدم في كتابه ذلك الماضي صدمة كصدمته للحجاب . ومن اقواله في هذا الصدد انه اذا لم يكن في المدينة الاسلامية القديمة ما يُنظَب اَدْخاله الآن فما ذلك الا لان المدينة الاسلامية القديمة نشأت قبل قيام المدينة الحديثة ووجدت قبل نشأة جميع اصول العلوم والفنون ومبادئ السسيولوجيا . فكيف يمكننا ان نتخذها مثالا للكمال البشري نخذو حذوه وتتلو تلوه وهي قد نشأت قبل نشأة اصول العمران الحقيقية . ثم قال هذا القول البديع ، ان المدينة الحقيقية عبارة عن سير جميع الامم في طريق واحدة مرسومة اذ لا مدينة حقيقية خارج هذه الطريق “ ثم قال هذا القول الهائل ، ان الكمال البشري امامنا لا وراءنا “ (١) قال هذا القول بعد ان أظهر انه لم يحل زمن من ازمته التاريخ الماضي من الفظائع والجرائم والذائل وان الكمال سيكون في المستقبل ولم يكن في الماضي . فكانه بذلك وضع (الايديال) Ideal العلمي الادبي الاجتماعي فوق ال Ideal الديني . وهذا أجراً ما في كتابه على الاطلاق . ولكن منتقديه لم ينتبهوا اليه على ما يظهر

وفي يوم وفاته في مصر حوالي ٢٠ نيسان زار نادي دار العلوم في مصر تصحبه بضعة من الطالبات الرومانيات اللواتي وفدن على مصر لزيارتها والقي خطبة وجيزة باللغة الفرنسية قال في خاتمتها ، قرب الله ذلك اليوم الذي نرى فيه الطالبات المصريات المسلمات جالسات بجانب طلبتنا كجلوس زائرانا بجانبهم يتباحثون جميعاً في المواضيع المفيدة “

وكانت وفاته بعد الانصراف من هذه الحفلة بداء السكنة على ما يفهم من اخبار مصر . وقد ودع الفضل والمقل قبل وفاته بثلاثة ايام بخطبة غراء القاها

(١) اكتب هذه المقالة في فول ريفر (ماس) وليس لدي كتاب قاسم بك

لمراجعة قوله على انني اضمن المعنى وان لم اضمن حرفيته

في عزبة سراوه (المنوفية) في احتفال حافل عُقد فيها وشهده كثيرون من الإعيان اهتماماً (للجامعة المصرية) أي الكلية العلمية المنوي انشاؤها وكان الفقيه هو وصديقه الحيان سعادتلو سعد باشا زغلول ناظر المعارف وسعادتلو احمد فتحي باشا زغلول وكيل الحاقانية اول من قاموا بها . والمشاريع الخطيرة لا تقوم بها الا الهمم الكبيرة . وقد نشرنا هذه الخطبة بنصّها لانها كانت آخر ما خرج من روحه الطيبة وهي حسبنا دلالة على مقام الرجل

نص الخطبة

قال بعد مقدّمة وجيزة

،، أيها السادة . ان عمل الخير حسن على كل حال ولكن أحسن منه وضع الخير في محله

لو كان المحسنون يوجهون ارادتهم الى احياء امّتهم وتعظيم وطنهم اكثر من اهتمامهم بشراء الزهور وتشييد القبور وازياء الاضرحة . لو كانوا يجودون للاعمال بنسبة الخير المنتظر منها لكانت الجامعة المصرية اليوم كأمثالها في البلاد الاخرى أغنى جمعية في هذا القطر . ولكنها أفقرها جميعها

من التبرعات الجسيمة التي تحصل سنوياً في هذا القطر على شكل هبة او وقف . من كل هذا المال الذي يصرف في وجوه قليلة النفع او غير نافعة كان تضيق الجامعة شيئاً قليلاً لا يذكر

ولولا ان عناية الجناح الحديوي ادركتها ومنحتها مرتباً سنوياً قدره خمسة آلاف جنيه لرأينا في هذا العصر الذي تعدّه الجرائد والخطباء والشعراء مبدأ النهضة الوطنية وتتغنى فيه بمدح الشعور الوطني على نفعة تطرب السامعين وتفتح قلوبهم وجيوبهم ايضاً . في هذا العصر الذي نريد ان نجعله حداً فاصلاً بين ماضينا ومستقبلنا ونطالب ان تتحقق فيه امانينا العزيزة . في هذا العصر لولا ان أدركتها هذه العناية العظيمة لرأينا شيئاً محزناً مخجلاً وهو ان انفع مشروع ظهر

في مصر ولد فيها ميتاً

ولكي يكون الاعتراف بالحق تاماً لا أستطيع ان امنع نفسي من التصريح بشيء يجتهد دائماً دولة الامير الذي يرأس هذه الحفلة ان يخفيه لشدة تواضعه وهو انه من اليوم الذي قبل فيه ان يشرف لجنة ادارة الجامعة برئاسته لها وصار في مقدمة العاملين فيها لتحقيقنا ان النجاح صار مضموناً

أيها السادة . ان الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً ولا تعلن عن نفسها . عاش آباؤنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وحاربوا الامم وقتلوا البلاد ولم نسمع انهم كانوا يفتخرون بحب وطنهم فيحسن بنا ان تقتدي بهم ونهجر القول ونعتمد على العمل

اذا أردنا ان ننفع بلادنا ينبغي علينا قبل كل شيء ان ننظر الى أنفسنا ونعرف قيمتنا ونزن قوتنا وندرس اسباب تأخرنا ثم نسعى ونعمل لتحسين حالنا يجب ان نفهم ان مسألتنا الاجتماعية ليست شيئاً وجد بالصدفة أو يتغير بمعجزة بل انها كسائر القضايا العلمية مسألة تحليل وتركيب وان لتكوين ونمو الجمعيات الانسانية أسباباً عديدة ترتبط بالدين والشرائع والاخلاق والاقليم والجنس واللغة وطرق التربية فتغيير الحال الاجتماعية انما يكون بتغيير الاسباب التي اشتركت في تكوينها

فكل ما يكتب ويعمل ويقال في هذا الموضوع هو خير مبارك منتج وما عداه فهو تعب ضائع

أيها السادة . ان من أهم اسباب انحطاط الامم وارتقائها طرق التعليم والتربية واذا نظرنا الى ما يجري عندنا وجدنا ان التعليم الموجود الآن لا يصلح الا لاعداد موظفين أو أصحاب فن يحترفون به للقيام بمجالات الحياة التي لا يستغني عنها كالطب والهندسة والمحاماة وهذا التعليم يوزع في مدارسنا على الطلبة بمقدار معلوم لا يزيد عن الغاية التي وضع لاجلها

تلك هي خطة الحكومة في التعليم وقد حذا حذوها أصحاب المدارس الخصوصية

والحكومة تعترف بان هذا القدر من التعليم غير كاف ولكنها اضطرت الى عدم التوسع فيه للأسباب التي شرحتها في تقاريرها العديدة وأهمها كما تعلمون هي مسألة المال

وفي الحقيقة انه لا توجد حكومة في العالم تستطيع ان تتولى بنفسها أمر التعليم العام بجميع فروع ودرجاته وإذا نظرنا الى ما يجري في البلاد المتقدمة نجد ان القسم الاعظم من التعليم في يد جمعيات عامة هي المؤسسة والمديرة لنظامه وان عمل الحكومة فيها محصور في تعضيدها ومساعدتها على قدر الامكان

هذا هو الذي حمل الحكومة المصرية على استنهاض همه الاهالي لنشر التعليم الابتدائي وهذا ما دعانا ايضاً الى ان نطلب من ابناء وطننا ان يفكروا في نشر التعليم العالي وان يبذلوا ما في وسعهم في سبيله ليكمل نظام التعليم في بلادنا ويصبح وافياً بجميع حاجات الامة

أيها السادة . نحن لا يمكننا ان نكتفي الآن بان يكون طلب العلم في مصر وسيلة لمزاولة صناعة أو للاتحاق بوظيفة بل نطمح ان نرى بين ابناء وطننا طائفة تطلب العلم حباً للحقيقة وشوقاً الى الاكتشاف المجهول . فئة يكون مبدأها التعلم للتعلم . نود ان نرى من ابناء مصر كما نرى في البلاد الاخرى عالماً يحيط بكل العلم الانساني واختصاصياً اتقن فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسه على الالمام بجميع ما يتعلق به . وفيلسوفاً اكتسب شهرة عامة . وكاتباً ذاع صيته في العالم . وعالماً يرجع اليه في حل المشكلات ويحتج برأيه . أمثال هؤلاء هم قادة الرأي العام عند الامم والاخرى والمرشدون الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا عدمتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون

أيها السادة . انا اذا نظرنا الى طائفة المتعلمين في مصر وهم متخرجو المدارس العالية نجد انهم يعملون على مبدأ (اكسب كثيراً واتعب قليلاً) ولا نجد فيهم العامل المحب لعمله أو فنه والعاشق الذي تحتل شهوة العمل في قلبه وتتمدد

فيه وتقلوه برمته ولا تقبل منافساً أو منازعاً أو شريكاً أو ضيفاً بجانبها وإنما نجد أفراداً قليلين . قليلين جداً يصرفون وقتاً قصيراً ومن حين الى حين لتكميل معارفهم ولكنهم مجردون عن تلك الحمية تلك النار التي تشعل القلب والشعور والتي بدونها لا تبحث النفس عن تجديد العمل ولا تطالب الارتقاء الى المراتب السامية .

ألا يظهر لكم مثلي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لاحساسه وان اكثر الناس استعداداً للكمال هم أصحاب الاحساس الذين . تهتز اعصابهم المتوترة بلامسة الحوادث وتبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغاً عظيماً فيظهر أثرها فيهم بكثرة وشدة . اولئك هم السعداء — الاشقياء الذين يتمتعون ويتألمون . اولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الاول مخاطرين بانفسهم يتنافسون في مصادفة كل صعوبة . من بينهم تنتخب القدرة الحكيمة خيرهم وتوحي اليه أسرارها فيصير شاعراً بليغاً أو عالماً حكيماً أو ولياً طاهراً أو نبياً كريماً أيها السادة . ان عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم لذاته هو عيب عظيم فينا يجب ان نفكر في ازالته وهو نتيجة من نتائج التربية الاولى . التربية المنزلية التي غفلت عن تربية احساسنا وأهملت تربية قلوبنا وشعورنا فأصبحنا ماديين لانهمم الا بالنتائج في جميع امورنا حتى في الاشياء التي بطبيعتها يجب ان تكون بعيدة عن الفوائد المادية كملاقات الاقارب والاصحاب . وليس من المنتظر ان تتغير أخلاقنا من هذه الجهة تغيراً محسوساً الا اذا تم اصلاح العائلة المصرية هل يجوز ان يؤخذ من اعترافنا هذا اننا نخشى ان الجامعة المصرية اذا فتحت أبوابها لا تجد طلاباً للعلم ؟ سمعت هذا الاعتراض واعتقادي التام انه وهم باطل . نحن اذا كنا نأسف لعدم بلوغ حب التعلم الدرجة التي تمنها له فليس معنى ذلك انه مفقود في بلادنا . حب التعلم موجود ووجد في بلادنا من قديم الزمان ولا يزول عن أرضنا ! وتاريخ مصر الحديث يثبت بأقوى البراهين ان حب التعليم كان ولا يزال ينمو في نفوس امتنا من عهد المرحوم

محمد علي باشا الى الآن

ولي أمل عظيم ان انشاء الجامعة المصرية يكون سبباً في ظهور شبيبة هذا الجيل وما يليه على أحسن مثال . وما حالة القلق والاضطراب التي نلاحظها فيها الآن الا انداز مطمئن يدلنا على انها مملوءة بقوة عظيمة تطلب ميداناً تصرف فيه لتتمتع بالتوازن لللازم لصحتها

هذا هو البناء الفخيم الذي نحب ان الامة المصرية تشيده بيدها ليقى أثراً خالداً في هذا القطر وشاهداً على حسن استعدادها للنمو العقلي والرقى الادبي فكل من وضع حجراً في هذا البناء يخدم أمته أجل خدمة . فشكراً للسابقين وشكراً للاحتين في هذا العمل الصالح“

الفيلسوف نيتش وفلسفته

فيلسوف كان له تأثير عظيم في افكار البشر في الارض
وقد حاول هدم اكثر المبادئ القديمة
الصحيحة والفاسدة

سلسلة مقالات نبسط فيها فلسفته

نيتش ضد دروين ورجا غلبه

ان مبدأ ,, تنازع البقاء“ (١) مبدأ بسطه دروين ولكنه لم يثبت حتي الآن . واذا افترضنا وجوده — وهو موجود على ما يظهر — فانه لا يؤدى الى الغاية التي ذكرها دروين ونجتري ان نود لو انه يؤدى اليها وهي (تغلب

(١) جرت تسمية هذا المبدأ (تنازع البقاء) وأصله (التنازع من أجل الحياة) يريدون معيشة الفرد وحياته